مظاهر الوسطية في سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم

د /طاهر محمود محمد يعقوب*

المقدمة:

الحمد لله العليم الحكيم القائل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[1] ، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على رسوله الصادق الأمين المبعوث برسالة سماوية عالمية، المعلن عن ربه عز وجل:﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[2]، وعلى آله الأطهار وصحبه الأبرار الثلة المجتباة والصفوة المختارة من خلص البشرية، ومن تبعهم من أصحاب القرون المفضلة المشهود لهم بالخيرة والأفضلية، بإحسان وإخلاص إلى يوم الدين، وبعد:

فهذا البحث بعنوان" مظاهر الوسطية في سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم "يتكون من عناصر رئيسية تالية:

- **المقدمة.**
- **دراسة الموضوع.**
- **خلاصة البحث والمقترحات.**

أما المقدمة فتشتمل على أمرين وهما:

أولا: أهمية الموضوع وحاجة كتابة البحث فيه:

كل شيء موجود في الكون يتجمل ويتحسن بالاعتدال والتوازن، من محاسن الفطرة السليمة، ومن مآثر الجبلة الصافية التمسك بالوسطية بين الغلو

---

* الأستاذ المساعد بقسم الدراسات الإسلامية ، الجامعة الفيدرالية الأردية للفنون والعلوم والتكنولوجيا بإسلام آباد.

1- الأنبياء:١٠٧

2- الأعراف:١٥٨

والجفاء، والأخذ بالمنهج المعتدل بين الإفراط والتفريط، والاعتصام بالسلوك الوسط بين الإطراء والتقصير، هذه السنة الكونية ملموسة في مظاهر نظام الكون بأنواعه المختلفة من الحيوانات والجمادات والنباتات وإلى هذه الحقيقة العظمى ترشدنا الآية القرآنية ﴿**وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا**﴾[1]، وجاء الإسلام كدين الوسط والاعتدال لأمة عدول وخيار وصفهم الله عز وجل بقوله) وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ[2]، والوسطية من خصائص الأمة الإسلامية وهي سبب وصفهم بالخيرية والأفضلية ولا تزال الأمة بخير وعافية ما دامت محافظة على هذه الخاصية، وسيرة نبي هذه الأمة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه خير دليل على وسطية الإسلام قولا وعملا، عقيدة وتطبيقا، فكرا وسلوكا، ومما يدل على ذلك الجواهر البديعة الملفوظة من لسان ناطق الوحي، والأضواء الكاشفة الصادرة من مشكاة النبوة والرسالة على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم...

والوسطية وصف متميز من أوصاف المسلم في حياته كلها بدأً من حياته الشخصية إلى حياته الاجتماعية والسياسية وما أحسن تعاليم الإسلام في بيان وسطية العبادة...

وما أجمل أحكام الكتاب والسنة في بيان وسطية الحياة الاجتماعية،وما أروع توجيهات الدين الحنيف القيم في بيان وسطية المعيشة والاقتصاد...

وما أحكم نصوص الكتاب والسنة وملامح السيرة النبوية في وضع أصول الوسطية وأسسها في سياسة أمور المسلمين...

فالدرر النبوية الثمينة والأنوار المضيئة المحمدية تنور للأمة منهجهم المعتدل وتضيء صراطهم السوي في مجالات الحياة الإنسانية المتنوعة.

نعيش في زمن قد كثرت فيه العواصف الشديدة والزوابع العنيفة من الاتهامات والحملات الإعلامية التي تتهم نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم بالإرهاب والتطرف والعنف والتشدد، وهو برئ من هذه الأغلوطات.

فتأتي ضرورة قسوى وحاجة ملحة لندرس سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم ونقتبس من نورها قيسات تضيئ للناس الحق والحقيقة وتبين أن محمد بن عبد

1- الفرقان:٢

2- البقرة:١٤٣

الله نبي الأمة الوسط وهو على منهج معتدل وصراط مستقيم ليس فيه غلو ولا جفاء وسيرته حافلة بالوسطية والاعتدال في جميع جوانب الحياة ، فمظاهر وسطيتها تتجلى في جمعه صلى الله عليه وسلم بين الدين والدنيا وبين العاجلة والآخرة، وبين جهاده المتواصل في سبيل الله ووقوفه بين يدي مولاه عز وجل حتى تتورم قدماه الشريفتان ، وبين رفقه الرفيق وأدبه الجميل بالإنسان، وغضبه الشديد لدين الله وحرماته وحدوده، وجمعه بين تبتل العابد المنيب إلى الله تعالى عند ما يعتكف بالمسجد وبين الزينة حتى أثناء الاعتكاف، فكان يناوله رأسه لعائشة رضي الله عنها وهي في حجرتها لترجل له شعره عليه الصلاة والسلام.

ثانيا: منهج كتابة البحث ومعالجة موضوعة:

انتهجت في سرد المعلومات وتقسيمها المنهج التالي:

١. حاولت في استخراج عناوين البحث أن تكون بارزة وشاملة بالتأمل في سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم.

٢. سعيت في ذكر الأدلة والشواهد أن تتركز على سنته وسيرته وشمائله صلى الله عليه وسلم مع وجود الأدلة الكثيرة من القرآن الكريم فلم أتعرض لها إلا نادرا، وذلك طلبا للاختصار وتقيدا بالموضوع.

٣. خرجّت الآيات القرآنية بذكر أسماء سورها وأرقامها ، و الأحاديث النبوية من مظانها الأصلية.

فجاء البحث على النحو التالي.

أولا : معنى الوسطية لغة واصطلاحا، والمراد به في البحث.

ثانيا : دراسة الموضوع، وتشتمل على اثنا عشر عنواناً.

ثالثا : خلاصة البحث والمقترحات.

فهذا جهد قليل البضاعة أسأل الله الكريم أن يجعله رمز محبتي ووفائي لنبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم القائل" : لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين[1] وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين.

1- صحيح البخاري :كتاب الإيمان، باب حب الرسول صلى الله عليه وسلم من الإيمان، ص:١/١٤ ح ١٥ .من حديث أنس رضي الله عنه.

أولا : معنى الوسطية لغة واصطلاحا، والمراد به في البحث.

قال ابن فارس : الواو والسين والطاء بناء صحيح يدل على العدل، والنصف .وأعدل الشيء أوسطه ووسطه، قال عز وجل) أُمَّةً وَسَطًا[1]، ويقولون ضربت وسط رأسه— بفتح السين—، ووسط القوم بسكونها[2]

ولكلمة" وسط "اطلاقات ومعاني متعددة عند أهل اللغة من أهما ما يلي:

١- الوسط ما بين طرفي الشيء وهو منه — أي بمعنى النصف كقولك وسط الحبل، وكسرت وسط الرمح.

٢- الوسط بمعنى العدل والخيار، ومنه قوله تعالى:﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا**﴾[3]، أي عدلا خيارا، ومنه قولهم :فلان من أوسط قومه نسبا،وفلان وسيط قومه إذا كان أوسطهم نسبا وأرفعهم محلا، ومنه قولهم في صفة النبي صلى الله عليه وسلم إنه كان من أوسط قومه، أي خيارهم، ومنه واسطة القلادة وهي أنفس خرزها[4]

والعدل والخيار وإن اختلف لفظهما إلا أن معناهما واحد،لأن العدل خير والخير عدل ولا يكون الشخص خيارا إلا إذا كان عدلا[5].

قال ابن الأثير" : كل خصلة محمودة فلها طرفان مذمومان فإن السخاء وسط بين البخل والتبذير، والشجاعة وسط بين الجبن والتهور[6].

3- الوسط ما كان بين الجيد والردئ[7]، ومنه قوله تعالى): ﴿**مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ**﴾[8] ، أي بين الجيد والرديء على أحد الأقوال في تفسيرها.

1- البقرة:١٤٣

2- معجم مقاييس اللغة " لابن فارس(٣١١/٤) مادة" وسط"

3- البقرة: ١٤٣

4- معجم مقاييس اللغة:٢٠٩/٦، لسان العرب "لابن منظور(٢٢٧/٧-٢٢٨)

5- لسان العرب : ٤٣٠

6- النهاية في غريب الحديث "لابن الأثير (٤٨٢/٢)

7- لسان العرب: ٤٣٠/٧

8- المائدة:٨٩

ونقصد بالوسطية في هذا المقال الطريق السوي بين الغلو والجفاء قولا وعملا والصراط المستقيم بين الإفراط والتقصير عقيدة وسلوكا، والمنهج المعتدل المتصف بالأصالة والعدالة والخيرية، والاستقامة بين الإطراء والتنقيص نظريا وتطبيقيا ، وهذا المنهج هو الذي انتهجه خيار هذه الأمة سلفنا الصالح ودعوا الناس إليه تحريرا وتقريرا وهذا المنهج خال من إضلال وتقصير اليهود المغضوب عليهم الذين ارتكبوا بأبشع الجرائم واقترفوا بأقبح الآثام من تكذيب الله تعالى وتحريف كتابه لفظا ومعنى ، وقتلهم أنبيائه وأكلهم السحت، ووصفهم الخالق بصفات المخلوق الناقصة، ومن ضلال النصارى وغلوهم بالترهب وتقولهم على الله سبحانه وتعالى وافترائهم على كلمته ونبيه عيسى بن مريم عليه السلام، ووصفهم المخلوق بصفات الخالق المختصة به، وهذا المنهج المتزن برئي من بدعة التجهم والتشبه والإرجاء والاعتزال والتأويل والرفض والتكفير والتطرف فأصحاب هذا المنهج هم أهل السنة والجماعة ولقبوا بذلك لأنهم أهل السنة والاتباع ليسوا من أهل الهوى والابتداع، وأهل الجماعة المتمسكون بالمنهج الحق غير الخارجين على جماعة المسلمين وأئمتهم، فأهل السنة في الإسلام كأهل الإسلام في الملل أي من جهة الوسطية والاعتدال.

ولا نعني بالوسطية هنا دأب المنافقين المتمثل في النفاق والمداهنة والتذبذب بين الإيمان والكفر، فهذا المنهج مذموم نقلا وعقلا وشرعا وأخلاقا، وسمة من سمات المنافقين الخلص، قال الله عز وجل:﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا * مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا**﴾[1].

كما لا نريد بها التهاون في قبول المسلّمات الإسلامية والتنازل عن المبادئ الدينية والقيم الأخلاقية المثلى.

إن السيرة النبوية العاطرة-على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم -قدوة جميلة للبشرية جمعاء عموما وأسوة حسنة للمؤمنين خصوصا قال الله سبحانه وتعالى:﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا**

1- النساء: ١٤٢-١٤٣

يَعْلَمُونَ﴾ [1] (وقال عز من قائل:﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[2]، وكما سيرته الطيبة تنور جميع جوانب الحياة الإنسانية ، فمظاهر الوسطية في سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم تشتمل نواحي الحياة البشرية كلها، وفيما يلي نشير إلى أهم العناوين التي يتجلى فيها بعض مظاهر الوسطية المثلى وملامح الاعتدال السوي وأساليب التوازن الفطري وأوصاف العدل الاجتماعي في ضوء سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم من أقواله وأفعاله وشمائله الشريفة.

ثانيا :دراسة الموضوع:

١- الوسطية في الدين الذي جاء به المصطفى صلى الله عليه وسلم:

عمل الإنسان منبثق من عقيدته، وأخلاقه تدل على اتجاهه الفكري لذا نجد الاهتمام البالغ والعناية الفائقة- في جميع سير الأنبياء عليهم السلام بصفة عامة وسيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم بصفة خاصة -بإصلاح عقائد الناس وتطهيرها من التكدر بالشركيات والتلوث بالخزعبلات، وتصفيتها من الغلو والإفراط والتشدد والتعسير ، ومن الأدلة النبوية على الأمر بالاعتدال والنهي عن الغلو:

ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم -غداة العقبة وهو على ناقته » القط لي حصى .« فلقطت له سبع حصيات هن حصى الخذف فجعل ينفضهن في كفه ويقول » أمثال هؤلاء فارموا.« ثم قال » يا أيها الناس إياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين[3] .

والوسطية تعني اتباع الصراط المستقيم من غير إفراط ولا تفريط، والثبات عليه والحذر من الميل إلى أحد جانبيه، ولقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم لذلك مثلا محسوسا:

1- سبأ : ٢٨

2- الأحزاب: ٢١

3- سنن ابن ماجه، كتاب المناسك، باب قدر حصى الرمي، حديث رقم : ٣٠٢٩ ، ص:٢/١٠٠٨

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال » :كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فخطّ خطًّا، وخطّ خطّين عن يمينه، وخطّ خطّين عن يساره، ثم وضع يده على الخطّ الأوسط، فقال" :هذه سبيل الله"، ثم تلا هذه الآية): ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ**﴾[1][2]

وقد أمر الله عز وجل أمة النبي صلى الله عليه وسلم أن يسألوه تعالى : ﴿**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ**﴾[3]

والصراط المستقيم هو الصراط الوسط بين تفريط اليهود المغضوب عليهم وتقصيرهم، وبين إفراط النصارى وغلوهم في الدين.

قال الإمام ابن تيمية رحمه الله ..." :أن ملة الإسلام وسط في الملل فالمسلمون وسط في أنبياء الله ورسله وعباده الصالحين ؛ لم يغلوا فيهم كما غلت النصارى فاتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون ، ولا جفوا عنهم كما جفت اليهود ؛ فكانوا يقتلون الأنبياء بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس[4]"...

٢- الوسطية في أهداف بعث محمد بن عبد الله رسولاً ونبيا، صلوات الله وسلامه عليه:

1- الأنعام: ١٥٣

2- سنن ابن ماجه : كتاب الإيمان وفضائل الصحابة ، باب اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم) ٦/١٠ رقم،١١ قال البوصيري في الزوائد(٤٥/١) هذا إسناد فيه مقال من أجل مجالد بن سعيد .قلت :مجالد بن سعيد هو ابن عمير الهمداني أبو عمرو الكوفي .قال الحافظ في التقريب ص: ٥٢٠ ليس بالقوي، وقد تغير في آخر عمره .اهـ .وله شاهد من حديث ابن مسعود رضي الله عنه -عند أحمد في المسند (٣٩٧/٣) والدارمي في سننه ١٧٨/١)، (٧٨/١-٧٩) رقم (٢٠٢). وحسنه الألباني كما في المشكاة رقم (١٦٦) (ونقل عن الحاكم تصحيحه.

3- سورة الفاتحه:٦،٧

4- مجموع الفتاوى : لشيخ الإسلام ابن تيمية، ص:٣٧٠/٣

هدف إيجاد شيء يقرر وظيفته ومهمته ومقصد إنشاء شيء يعين حقيقته ومسيره، وبعث الله تعالى محمد بن عبد الله رسولا نبيا — صلى الله عليه وسلم — بالتيسير والتسهيل لخير دليل على الوسطية في سيرته التعليمية والدعوية والمنهجية، جاء في حديث جابر بن عبد الله — رضي الله عنه — قال :قال صلى الله عليه وسلم ...":إن الله لم يبعثني معنتا ولا متنعتا، ولكن بعثني معلما ميسرا [1]

وعن أنس بن مالك — رضي الله عنه — أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا" [2]

فالحديثان يمثلان التيسير والتوسط في حياته صلى الله عليه وسلم القولية والعملية كما ينهيان عن التعنّت والتنفير والتزمّت في التعليم والدعوة إلى الله.

٣- الوسطية في العبادة:

كان الرسول صلى الله عليه وسلم أكثر الناس عبادة وأعظمهم قربة إلى الله عز وجل ، ومع ذلك نجده جامعا بين خيري الدنيا والآخرة فعبادته لم تجعله متبتلا وممتنعا من التمتع بحظوظ الدنيا ولذّاتها، فعن أنس بن مالك-رضي الله عنه-يقول جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم-يسألون عن عبادة النبي-صلى الله عليه وسلم - فلما أخبروا كأنهم تقالّوها فقالوا وأين نحن من النبي-صلى الله عليه وسلم - قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . قال أحدهم :أما أنا فإني أصلي الليل أبدا . وقال آخر :أنا أصوم الدهر ولا أفطر . وقال آخر :أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا . فجاء رسول الله-صلى الله عليه وسلم - فقال : «أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني » [3].

1- صحيح مسلم :كتاب الطلاق، باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقا إلا بالنية (٢/١١٠٥) ،رقم(١٤٧٨) ، وأحمد في مسند: ٣/٣٢٨

2- صحيح البخاري :كتاب الأدب، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم يسروا ولا تعسروا، (٧/١٠١) ، وأحمد في مواضع من مسنده منها) (١٣/٢٠٩)، (٣١٣) ، و (٤/٤١٢) واللفظ لأحمد.

3- صحيح البخاري : كتاب النكاح ، باب الترغيب في النكاح، حديث رقم،(٥٠٦٣)

وعن أبي مسعود الأنصاري قال قال رجل يا رسول الله :لا أكاد أدرك الصلاة مما يطول بنا فلان ، فما رأيت النبي-صلى الله عليه وسلم – في موعظة أشد غضبا من يومئذ فقال: » أيها الناس ، إنكم منفرون ، فمن صلى بالناس فليخفف، فإن فيهم المريض والضعيف وذا الحاجة[1].

ونجد في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم الأمر بالتوسط بين رفع الصوت وخفضه في القراءة في الصلاة:

أخرج ابن جرير بسنده عن محمد بن سيرين، قال :نبئت أن أبا بكر كان إذا صلى فقرأ خفض صوته، وأن عمر كان يرفع صوته، قال :فقيل لأبي بكر : لم تصنع هذا؟ فقال :أناجي ربي، وقد علم حاجتي، قيل : أحسنت، وقيل لعمر : لم تصنع هذا؟ قال :أطرد الشيطان، وأوقظ الوسنان، قيل :أحسنت، فلما نزلت)وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلا (قيل لأبي بكر :ارفع شيئا، وقيل لعمر :اخفض شيئا .وقيل إن الآية نزلت في الدعاء وقيل نزلت في التشهد[2]،

ولا منافاة بين القولين ؛ لأن الدعاء والتشهد من الصلاة.

وأمر النبي صلى الله عليه وسلم أحد صحابته بالاعتدال في الصلاة وقرر أنه لا تقوم الصلاة بفقدان الاعتدال ، فعن أبي هريرة أن رسول الله-صلى الله عليه وسلم – دخل المسجد، فدخل رجل فصلى فسلم على النبي-صلى الله عليه وسلم -فرد وقال " ارجع فصل ، فإنك لم تصل . " فرجع يصلي كما صلى ثم جاء فسلم على النبي-صلى الله عليه وسلم – فقال " ارجع فصل فإنك لم تصل « ثلاثا .فقال :والذي بعثك بالحق ما أحسن غيره فعلمني ، فقال " :إذا قمت إلى الصلاة فكبر ، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن ، ثم اركع حتى تطمئن راكعا ، ثم ارفع حتى تعتدل قائما ، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا ، ثم ارفع حتى تطمئن جالسا ، وافعل ذلك في صلاتك كلها" [3]

1- صحيح البخاري : كتاب العلم ، باب الغضب في الموعظة،١/٤٦، حديث رقم (٩٠).

2- انظر تفسير الطبرى، ١٥/١٢٤.

3- صحيح البخاري:كتاب الصلاة، باب وجوب القراءة للإمام،١/٢٨٣، حديث رقم(٧٢٤)

ونهى عن التشدد والغلو في العبادة كما يتضح ذلك جليا في الأحاديث الآتية:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه :أن النبي صلى الله عليه و سلم رأى شيخا يهادي بين ابنيه قال":ما بال هذا "؟ قالوا نذر أن يمشي .قال " :إن الله عن تعذيب هذا نفسه لغني ."وأمره أن يركب،[1].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : دخل النبي صلى الله عليه و سلم فإذا حبل ممدود بين الساريتين فقال :ما هذا الحبل؟ قالوا : هذا حبل لزينب، فإذا فترت تعلقت . فقال النبي صلى الله عليه و سلم" : لا ، حلوه ، ليصلّ أحدكم نشاطه فإذا فتر فليقعد" [2].

وعن ابن عباس-رضي الله عنهما-أن النبي -صلى الله عليه وسلم - مر وهو يطوف بالكعبة بإنسان يقود إنسانا بخزامة في أنفه ، فقطعها النبي-صلى الله عليه وسلم - بيده ، ثم أمره أن يقوده بيده" [3].

فهذه درٌ ثمينة من السيرة النبوية تدل على الوسطية في العبادة لله عز وجل التي لأجلها خلق سبحانه وتعالى: ﴿ **الجن والإنس وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾ [4] وإذا كان التوسط مطلوباً في العبادة فضرورته في غيرها أجلّ وأهمّ.

1- صحيح البخاري :كتاب الأيمان والنذور، باب النذر فيما لا يملك وفي معصية(٢٣٤/٧)، ومسلم واللفظ له ،كتاب النذر ، باب من نذر أن يمشي إلى الكعبة،(١٢٦٤/٢)، رقم (١٦٤٢)، وأبو داود :كتاب الإيمان والنذور، باب من رأى عليه كفارة إذا كان في معصية،٦٠٠/٣، رقم٣٣٠١، والترمذي ، كتاب النذور والأيمان، باب ما جاء فيمن يحلف بالمشي ولا يستطيع١١١/٤،رقم ١٥٣٧ .

2- صحيح البخاري :أبواب التهجد ، باب ما يكره من التشديد في العبادة ، ص:٣٨٦/١، ح ١٠٩٩.

3- صحيح البخاري : كتاب النذور والأيمان ، باب النذر فيما لا يملك (٢٤٦٥/٦)، رقم (٦٣٢٦)

4- الذاريات:٥٦

٤- الوسطية في الأخلاق والسلوك:

إذا كان محمد بن عبد الله مشهورا وملقبا بلقب الصادق الأمين قبل بعثه نبيا فما بالكم في أخلاقه الطيبة وأوصافه الحميدة بعد كونه رسولا صلوات الله عليه وسلامه، جعل صلى الله عليه وسلم حياته الشريفة المقضية بين أبناء جلده، من صباه وشبابه وكهولته دليلا عقليا مقنعا على صدقه وحقّيّته حيث حكى الله تعالى عنه: ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾. [1]

فأخلاقه صورة مضيئة ونموذج رائع للوسطية، وجاءت الشهادة الربانية من فوق السماوات السبع على كونه حائزا على الخلق العالي والأدب الجم قال الله تعالى : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[2]، وجاءت الشهادة الأرضية والداخلية من أوفى زوجاته الكريمات أمهات المؤمنين، وألزمها وأحبها إليه، على أخلاقه الكريمة وسجاياه المحبوبة حيث قالت عائشة الصديقة- رضي الله عنها -عند ما سئلت عن أخلاقه" كان خلقه القرآن" [3]، وقبل ذلك شهدت زوجته الوفية خديجة رضي الله عنها على أخلاقه الإنسانية المتمثلة في العمل الخيري البشري حيث خاطبته مسلّية له ومزيلة الرعب والرهب عنه بعد أن نزل عليه الوحي الأول " إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق[4] وشهادة الزوجة في زوجها من أقوى الشهادات وأتقن التزكيات عند علماء الأخلاق والنفس.

وعن عائشة-رضي الله عنها - أنها قالت :ما خير رسول الله-صلى الله عليه وسلم - بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثما ، فإن كان إثما كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله -صلى الله عليه وسلم -لنفسه ، إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها" .[5]

1- يونس: ١٦

2- القلم:٤

3- مسند أحمد، ص: ١٨٣/٤٢ ، ح(٢٥٣٠٢)

4- صحيح البخاري :كتاب الوحي ، باب بدء الوحي،١/،حديث (٣).

5- صحيح البخاري :كتاب المناقب، باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم ، ١٣٠٦/٣،ح(٣٣٦٧)

وعن عبد الله بن عمرو-رضي الله عنهما — قال : لم يكن النبي-صلى الله عليه وسلم- فاحشا ولا متفحشا، وكان يقول «إن من خياركم أحسنكم أخلاقا »[1] .

وجاء في حديث هند بن أبي هالة التميمي في وصف أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم":كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دائم البشر سهل الخُلق ليّن الجانب ليس بفظ و لا غليظ و لا سخاب و لا فحاش و لا عياب و لا مداح"[2].

و عن عبد الله بن الحارث بن جزء رضي الله عنه: "ما رأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم". [3]

وكتب السنة والسيرة النبوية مبوبة بعناوين متعددة تدل على اتصاف النبي صلى الله عليه وسلم بالوسطية والاعتدال في سائر أمور الحياة الشخصية والاجتماعية من العبادة والراحة والتزويج والقربة إلى الله، والصوم والإفطار والأخذ والعطاء والبيع والشراء والكسب والإنفاق والقضاء والاقتضاء ونحوها ولا غرو في ذلك وهو نبي الأمة الوسط الخاتمة خير الأمم قال تعالى:﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ**﴾[4].

فهذه قبسات من مشكاة السيرة النبوية ترشد الإنسان إلى التخلق بأخلاق حسنة وصفات جميلة، و بها تزول ظلمات الجهل والعناد والتعصب والحسد والبغضاء والشحناء، وجاء في الدعاء المأثور النبوي" اللهم إني أسألك الصحة والعفة والأمانة وحسن الخلق والرضا بالقدر [5]

1- أخرجه البخاري :كتاب المناقب، باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم ، ١٣٠٥/٣،ح (٣٣٦٦).

2- شعب الإيمان ، للبيهقي) :ص: ١٥٤/٢، ح ١٤٣٠

3- سنن الترمذي : كتاب المناقب باب في بشاشة النبي صلى الله عليه وسلم .(٦٠١/٥) ح:٣٦٤١

4- البقرة: ١٤٣

5- الأدب المفرد "للبخاري) ص:١١٥/١ ح (٣٧) من حديث عبد الله بن عمرو- رضي الله عنهما.

5- الوسطية في اختيار أساليب الدعوة إلى الله تعالى:

الدعوة إلى الله عز وجل قولا وعملا من أعظم مهام الرسول وأكبر وظائفه صلى الله عليه وسلم قال عز وجل) يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ [1] (فبلغ الرسول صلى الله عليه وسلم الأمانة وأدى الواجب ونصح الأمة حق التبليغ والنصيحة على وجه أتم وعلى منهج معتدل وطريق سوي قال الله تعالى: **﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾** [2]

وكانت مراحل دعوته صلى الله عليه وسلم متنوعة ومتعددة حسب الظروف والأوضاع المحيطة به ، يجمعها الأخذ بالوسطية والاعتدال في اختيار أساليب الدعوة واصطفاء وسائلها وطرقها، ويدل على ذلك بعض معالم السيرة النبوية التالية:

عن أبي هريرة أن أعرابيا دخل المسجد ورسول الله- صلى الله عليه وسلم -جالس فصلى -قال ابن عبدة-ركعتين ثم قال اللهم ارحمني ومحمدا ولا ترحم معنا أحدا.فقال النبي- صلى الله عليه وسلم » -لقد تحجرت واسعا .«ثم لم يلبث أن بال في ناحية المسجد فأسرع الناس إليه فنهاهم النبي- صلى الله عليه وسلم -وقال » إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين صبوا عليه سجلا من ماء .« أو قال » ذنوبا من ماء «[3].

وعن ابن عباس-رضي الله عنهما أن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-لما بعث معاذا-رضي الله عنه-إلى اليمن قال » إنك تقدم على قوم أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله ، فإذا عرفوا الله فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم ، فإذا فعلوا ، فأخبرهم أن الله

1- المائد:٦٧

2- يوسف١٠٨

3- سنن أبي داود : كتاب الطهارة ، باب الأرض يصيبها البول ، ١٥٧/١، رقم الحديث (٣٨٠)

فرض عليهم زكاة } تؤخذ { من أموالهم وترد على فقرائهم ، فإذا أطاعوا بها فخذ منهم ، وتوق كرائم أموال الناس".[1]

وعن عكرمة عن ابن عباس– رضي الله عنهما –قال" :حدث الناس كل جمعة مرة فإن أبيت فمرتين فإن أكثرت فثلاث مرار ولا تمل الناس هذا القرآن ولا ألفينك تأتي القوم وهم في حديث من حديثهم فتقص عليهم فتقطع عليهم حديثهم فتملهم ولكن أنصت فإذا أمروك فحدثهم وهم يشتهونه فانظر السجع من الدعاء فاجتنبه فإني عهدت رسول الله صلى الله عليه و سلم وأصحابه لا يفعلون إلا ذلك". [2]

ثبت من هذه القطوف من السيرة النبوية أن منهج النبي صلى الله عليه وسلم في الدعوة كان قائما على الاعتدال والوسطية والتيسير أساسه الحكمة والبصيرة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن ، وعماده اللين والرفق في غير ضعف.

6- الوسطية في جمع خيري الدنيا والآخرة:

من أهم خصائص الشريعة الإسلامية التي جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم أنها تجمع بين شؤون الدنيا وأمور الآخرة جمعا معتدلا شاملا أداء حقوق الله تعالى وحقوق عباده قال الله تعالى: ﴿**فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ * وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ *أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ**﴾. [3]

1- صحيح البخاري :كتاب الزكاة ، باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس، ٢/٥٢٩، حديث (١٣٨٩)

2- صحيح البخاري :كتاب الدعوات، باب ما يكره من السجع في الدعاء ص:١/٢٣٢٤ ح، ٥٩٧٨

3 البقرة: ٢-٢٠٢-٤

وقال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [1]

ونجد في سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم الجوانب النيرة قولا وعملا ، نظريا وتطبيقيا التي تدل على أنه كان فارس النهار وقائم الليل يودي الواجبات المتعلقة، بأمور الدنيا ويتمتع بلذاتها وحلاوتها في غير إفراط مفرط لها وفي غير ولوع بها، ويجتهد في تحسين آخرته من حسن إلى أحسن ومن جميل إلى أجمل بدون التبتل والرهبانية داعيا الله سبحانه وتعالى بهذا الدعاء الجامع بين سعادة الدارين الآخرة » :اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي واجعل الحياة زيادة لي في كل خير واجعل الموت راحة لي من كل شر .[2]

وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حبب إلي من الدنيا النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة.[3]"

عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله– صلى الله عليه وسلم –قال » الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة« .[4]

فثبت من هذه الأزهار النبوية العاطرة أن شخصية المصطفى صلى الله عليه وسلم كانت جامعة بين الفردية والجماعية، بين الأولى والآخرة، بين التفرغ للعبادة والاستمتاع بطيّبات وجماليّات الحياة التي خلقها الله تعالى وسخرها للإنسان.

ولأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان النموذج الأعظم للإنسان الكامل الذي تكاملت في صفاته وشمائله وأفعاله الوسطية الجامعة والتوازن العدل، فإن حياته وأسوته وقدوته لم تخلُ من المُلح والطرائف والنكات التي نهضت بمهام

1- القصص:٧٧

2- صحيح مسلم : كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل ، ص:٨١/ ح ٧٠٧٨، ص:٨/٨١– ح٧٠٧٨، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

3- مسند أحمد، ص:٢١/٤٣٣، ح (١٤٠٣٧)

4- صحيح مسلم : كتاب الرضاع، باب خير متاع الدنيا المرأة الصالحة ،ص:٩/٣٨٢

الترويح عن النفس وتجديد ملكات وطاقات القلوب، والإعانة على جد الحياة وصعابها مع التزام الحق والصدق والعدل أي الوسط والوسطية المتميزة عن الغلو إفراطا كان أو تفريطا.

إننا نطالع في السيرة النبوية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمزح أصحابه رجالا ونساءً ولكنه لا يقول إلا حقا .حتى لقد قال له صحابته رضي الله عنهم :يا رسول الله، إنك تداعبنا !فقال" :إني وإن داعبتكم لا أقول إلا حقا"[1].

وكان صلى الله عليه وسلم يرى اللعب المباح ولا يكرهه، ولقد أفسح لفرقة من الأحباش تلعب وترقص- تَزْفِن -وتغني بمسجد المدينة، وسأل زوجه عائشة رضي الله عنها إن كانت تشتهي أن تشاهدهم وتستمتع بألعابهم ورقصاتهم وأغنياتهم، فوقفت خلفه وخدها على خده حتى اكتفت وانصرفت عنهم .وعندما دخل عمر بن الخطاب رضي الله عنه المسجد وهمّ بنهر الأحباش، أوقفه رسول الله صلى الله عليه وسلم وشجّع الأحباش على مواصلة اللعب قائلا" :دونكم بني أرفدة، لتعلم يهود أن في ديننا فسحة، وأني أُرسلت بحنيفية سمحة[2]

و عن جابر بن سمرة رضي الله عنه :"أن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يتناشدون الشعر بين يديه أحيانا ويذكرون أشياء من أمر الجاهلية فيضحكون ويتبسم، ولا يزجرهم إلا عن حرام" [3].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه :أن يهوديا جاء إلى النبي صلى الله عليه و سلم فقال يا محمد إن الله يمسك السماوات على إصبع والأرضين على إصبع والجبال على إصبع والشجر على إصبع والخلائق على إصبع ثم يقول أنا الملك . فضحك رسول الله صلى الله عليه و سلم حتى بدت نواجذه ثم قرأ) وما قدروا الله حق قدره[4]

1- سنن الترمذي : كتاب البر والصلة،(باب المزاح.، ص:٣٥٧/٤، ح (١٩٩٠)

2- مسند أحمد بن حنبل : ص:١١٦/٦، ح ٢٤٨٩٩/٢

3- المعجم الكبير ص:٢٤٣/٢، ح ٢٠١٧.

4- صحيح البخاري :كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى لما خلقت بيـــدي. ص:٢٦٩٧/٦، ح٦٩٧٢

وعن كعب بن مالك رضي الله عنه :كان صلى الله عليه وسلم إذا سُرّ استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر".[1]

و عن أنس رضي الله عنه قال : كان النبي صلي الله عليه وسلم أفكه الناس مع صبي.[2]

فعلمنا من سيرته العاطرة وسننه الرفيعة أنه لم يركن إلى الدنيا ركونا ألهاه عن الآخرة و لم يمل إلى الآخرة ميلا أنساه أداء ما كان عليه من حقوق الدنيا وأهلها، ومع ذلك كان همه الأهم وقصده الأجل الآخرة قال عز وجل: ﴿**وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى**﴾[3] ، وجاء في الدعاء المأثور النبوي ... " : اللهم ... لا تجعل مصيبتنا في ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا تسلط علينا من لا يرحمنا.[4]

7- الوسطية في التيسير ورفع الحرج:

ومن ملامح سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وصفاته البارزة المكتوبة في التوراة والإنجيل أنه ييسر على الناس في الأحكام الشرعية كما قال تعالى : ﴿**وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ**﴾[5] فنبينا محمد صلى الله عليه وسلم "يضع عمن يؤمنون به من بني إسرائيل الأثقال والأغلال التي علم الله أنها ستفرض عليهم بسبب معصيتهم فيرفعها عنهم النبي الأمي حين يؤمنون به".[6]

ومن مظاهر وسطية النبي صلى الله عليه وسلم تركه العمل مخافة المشقة على أمته ومن ذلك قصّة صلاة التّراويح، » حيث صلّى النبيّ صلى الله عليه وسلم ذات ليلة في رمضان فصلّى بصلاته ناس، ثم صلّى القابلة فكثر النّاس، ثم

1- صحيح البخاري :صحيح البخاري – كتاب المناقب، باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم . ص ٣/١٣٠٥، ح(٣٣٦٣)

2- مسند البزار، ص: ٢/٢٨٦، ح (٦٤٤١) وفي بعض الروايات الأخرى) :مع نسائه.

3- الضحى: ٤

4- سنن الترمذي :كتاب الدعوات ، باب) بدون ترجمة، ص:٥/٥٢٨ ح ، ٣٥٠٢ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً .وقال الترمذي :حسن غريب، وحسنه الشيخ الألباني.

5- الأعراف:١٥٧

6- في ظلال القرآن "للسيد قطب" ،ص:٣/٣٠١

اجتمعوا في الليلة الثّالثة أو الرّابعة فلم يخرج إليهم، فلما أصبح قال" :قد رأيت الذي صنعتم فلم يمنعني من الخروج إليكم إلا أنيّ خشيت أن تُفرض عليكم «وفي رواية أخرى » :فتعجزوا عنها. [1]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «لولا أن أشقّ على أمّتي لأمرتهم بالسّواك عند كل صلاة» . [2]

ومن اليسر في شريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم" : إعفاء الصغير ، والمجنون ، من سريان الأحكام التكليفية عليهما ، وإعفاء النساء من وجوب صلاة الجمعة ، ومن تأكد صلاة الجماعة أو وجوبها على الخلاف في ذلك . وهذا معنى كثير من الاشتراطات التي تشترط لوجوب حقوق الله تعالى من العبادات ، والحدود ، وبعض حقوق العباد كحق القصاص ، وحق حد القذف ، فقد اشترط فيها جميعا البلوغ والعقل ، واشترط في حد الزنى أربعة شهود تقليلا لحالات وجوب الحد، تخفيفا وتيسيرا ، واشترط للرجم لشدته الإحصان تخفيفا عن غير المحصن ، واستثني الولي الفقير من عدم جواز الأكل من مال اليتيم؛ تخفيفا عنه ، فقد أذن له أن يأكل بالمعروف.

ومنها ما عهد في القرآن من أنه يستثني من نصوص التكليف الصور التي فيها عسر فييسرها ، ومن ذلك أن الله تعالى أذن للولي في مخالطة اليتيم في النفقة بعد أن نهى عن أكل أموالهم وأمر بإصلاحها فقال) : ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير [3] ثم قال تعالى: وإن تخالطوهم فإخوانكم [4] فأذن في المخالطة ، لأن في عزل نفقة اليتيم وحده عسرا على الولي . والمخالطة أن يأخذ من مال اليتيم بقدر ما يرى أنه كافيه ، بالتحري ، فيجعلها مع نفقة أهله ، مع أن بعضهم قد يأكل أكثر من بعض فلا يكون ذلك إصلاحا . ثم قال تعالى) : و﴿**وَلَوْ شاءَ اللهُ**

1- صحيح البخاري :كتاب صلاة التراويح، باب فضل من قام رمضان،٢٢٢/١، ومسلم واللفظ له :كتاب صلاة المسافرين، باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح :١ /٥٢٤) رقم ،(٧٦١)

2- صحيح البخاري :كتاب الصوم باب السواك الرطب واليابس للصائم (٢١٤/١) ومسلم واللفظ له .كتاب الطهارة ، باب السواك(٢٢٠/١)، رقم (٢٥٢)

3- البقرة: ٢٢٠

4- ايضاً

لأَعْنَتَكُمْ﴾[1] .أي بإيجاب عزل نفقة اليتيم وحدها ليأمن الولي من أكله أو أهله شيئا منها.[2] ودلت الآية على أن المشقة على هذه الأمة ليست مرادة لله تعالى.

ومنها ما علم في مواضع كثيرة من السنة النبوية أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتفادى ما يكون سببا لتكاليف قد تشق على المسلمين ، وكان يتجنب أن يصنع شيئا يكون فيه مشقة على أصحابه إذا اقتدوا به فيه ، قال تعالى: ﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ**﴾[3]

فمن ذلك أنه صلى الله عليه وسلم كان يحث أصحابه على ترك السؤال لئلا تفرض عليهم فرائض بسبب سؤالهم . فقد سأله رجل عن الحج ، أفي كل عام هو ؟ فقال :لو قلت نعم لوجبت ، ولما استطعتم ، ذروني ما تركتكم[4]. وقوله صلى الله عليه وسلم: "لو قلت نعم لو جبت ، ولما استطعتم ذروني ما تركتم" [5]

ومن الأدلة على التيسير ورفع الحرج عن الأمة وإزالة المشقة عنهم:

ما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه و سلم وقف في حجة الوداع بمنى للناس يسألونه فجاءه رجل فقال لم أشعر فحلقت قبل أن أذبح ؟ فقال) اذبح ولا حرج . (فجاء آخر فقال لم أشعر فنحرت قبل أن أرمي ؟ قال) ارم ولا حرج . (فما سئل النبي صلى الله عليه و سلم عن شيء قدم ولا أخر إلا قال):افعل ولا حرج [6]

بل إنَّه يعمل العمل فيندم على ذلك مخافة المشقَّة على أمّته :فقد روت عائشة-رضي الله عنها » -أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من عندها

1- البقرة: ٢٢٠

2- انظر :الجامع لأحكام القرآن "للقرطبي .تفسير سورة البقرة، الآية:٢٢٠

3- التوبة: ١٢٨

4- صحيح مسلم : كتاب الحج، باب فرض الحج مرة في العمر ، ص :١٠٢/٤ ح (٣٣٢١).

5- سنن ابن ماجه : كتاب الإيمان وفضائل الصحابة، باب اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.(٩٦٣/٢) وقال البوصيري هذا إسناد صحيح رجاله ثقات (الزوائد :١) ١٨٠- ط الدار العربية.

6- صحيح البخاري : كتاب الحج باب الفتيا وهو واقف على الدابة وغيرها، ص:٤٣/١

وهو مسرور ثم رجع إليها وهو كئيب، فقال" :إنّي دخلت الكعبة، ولو استقبلت من أمري ما استدبرت ما دخلتها، إنّي أخاف أن أكون قد شققت على أمّتي [1].

فكونه قد دخل الكعبة : يخشى أن يشق بهذا العمل على المسلمين ؛ لكونه شاقا وغير متاح لكل الناس .

8 - الوسطية في تقرير الأحكام الشرعية:

إن الشرع الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وسط في أحكامه وأنظمته القانونية والاجتماعية وبما في ذلك المجالات الأسرية والمدنية والجنائية،" فهو وسط في التحليل والتحريم بين اليهودية التي أسرفت في التحريم وكثرت من المحرمات وبين المسيحية التي أسرفت في الإباحة وكثرت فيها المباحات ,فالإسلام قد أحل وحرم ولكنه لم يجعل التحليل ولا التحريم من حق بشر بل من حق الله وحده ولم يحرم إلا الخبيث كما لم يحل إلا الطيب ، قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [2] التشريع الإسلامي وسط في شؤون الأسرة، فهو وسط بين الذين شرعوا تعدد الزوجات بغير قيد وبين الذين رفضوه ولو اقتضته المصلحة، فقد شرع الإسلام هذا الزواج بشرط القدرة على الإنفاق والثقة بالعدل بين الزوجتين كما قال تعالى: ﴿**فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً**﴾[3] والإسلام وسط في تشريعه الاجتماعي بين الرأسماليين الذين يفضلون الفرد على حساب المجتمع وبين الماركسيين الذين يضخمون دور المجتمع ويضغطون على الفرد بمصادرة نوازعه الذاتية"[4]

1- سنن أبي داود :كتاب المناسك باب في الحجر(٢/٢١٥) رقم،(٢٠٢٩) وضعّفه الألبـــاني كما في ضعيف الجامع رقم (٢٠٨٥)

2- الأعراف:٥٨

3- النساء :٣

4- المختصر الهام في الخصائص العامة للإسلام "للدكتور يوسف القرظاوي،ص:١/٤٢

وهو وسط في الطلاق بين الذين حرَّموا الطلاق، لأي سبب كان، ولو استحالت الحياة الزوجية إلى جحيم لا يطاق، كالكاثوليك ..وبين الذين أَرْخَو العنان في أمر الطلاق، فلم يقيدوه بقيد، أو شرط، فمن طلب الطلاق من امرأة أو رجل كان أمره بيده، وبذلك سهل هدم الحياة الزوجية بأوهى سبب ... أما الشرع الإسلامي فقد شرع الطلاق عندما تفشل كل وسائل العلاج الأخرى، ولا يجدي تحكيم ولا إصلاح، ومع هذا فهو أبغض الحلال إلى الله، ويستطيع المُطلِّق مرة ومرة أن يراجع مطلقته ويعيدها إلى حظيرة الزوجية من جديد. [1]

ومما يدل على ذلك ما جاء عن عبد الله بن معاوية الغاضري رضي الله عنه قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ثلاث من فعلهنّ فقد طَعِمَ طَعْمَ الإيمان :من عبد الله وحده، وعلم أنّه لا إله إلا الله، وأعطى زكاة ماله طيّبة بها نفسه، رافدة عليه كل عام، ولم يعط الهرمة، ولا الدرنة، ولا المريضة، ولا الشّرط اللئيمة، ولكن من وسط أموالكم، فإنّ الله لم يسألكم خيره، ولم يأمركم بشرّه »[2]

والوسط هنا ما بين أجود الغنم وبين السيئ والمعيب، وهو مثل قوله تعالى : ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ [3]

9- الوسطية في أسلوب الأمر والنهي:

ومن مظاهر الوسطية في سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم أنه كان لا يحمل الناس على الأحكام جملة واحدةً ، إنما كان مبدأُه التدرج ولا غرو في ذلك وهو القائل : يسِّرو ولا تعسِّروا وبشروا ولا تنفروا" [4]، وقد لوحظ التدرُّج في كثير من الأحكام وخاصة في المحرمات كالخمر والربا، وذلك تهيئة للنفوس وضمانا للاستجابة للأحكام.

1- انظر :الخصائص العامة للإسلام "للدكتور يوسف القرضاوي، ص: ١٣٣.

2- سنن أبي داود :كتاب الزكاة، باب في زكاة السائمة ١٠٣/٢، ١٠٤ رقم (١٥٨٢)، والبيهقي في السنن :٩٥/٤، وصححه الألباني كما في صحيح الجامع رقم، (٣٠٤١) والسلسلة الصحيحة رقم ، (١٠٤٦)

3- المائدة:٨٩

4- سبق تخريجه :

والتدرج في الكشف عن حقيقة حكم ما فإنه يبدأ تلويحا يفهمه الأذكياء ثم تزداد الإبانة بما يكاد يوحي بالحكم ثم يجيء الحكم حاسما بالمعنى المراد وقد تم تحريم الربا والخمر بهذا الأسلوب المتأني.

كانت الخمور متعمقة في المجتمع قبل بعثة النبي عربيًا كان أو عالميًا . وفي البيئة العربية صار شرب الخمر جزءاً من السلوك الاجتماعي الذي يفاخر به ويتغنى به الشعراء، فلم يكن من الحكمة تحريم الخمر مرة واحدة إنما الأنفع والأصلح هو التدرج في التحريم ، ومن ثم حرمت الخمر على أربع مراحل [1] .

ومما يدل على التدرج والتوسط في التحريم والتحليل في الأحكام الشرعية قول عائشة رضي الله عنها حيث قالت .... " : إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا لا ندع الخمر أبدا ولو نزل لا تزنوا لقالوا لا ندع الزنا أبدا لقد نزل بمكة على محمد صلى الله عليه و سلم وإني لجارية ألعب) بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر . (وما نزلت سورة البقرة وَالنساء إلا وأنا عنده"... [2]

والحكمة من التدرج هو ترويض النفوس على تقبل أحكام الله .. والتمهل في استئصال العادات القبيحة المتأصلة في النفوس لا سيما العادات المتوارثة عبر قرون طويلة ، وتخفيفاً على الناس تماشيًا مع فطرة الإنسان التي يتطلب التعامل معها التزام التدرج لتغييرها وحسن الارتقاء بها، كما أن التدرج يتلاءم مع منهج التغيير بشكل عام، إذ لا يمكن تغيير أوضاع المجتمعات لتتفق مع الشريعة إلا بأسلوب التدرج. [3]

10- الوسطية بين التمسك بالثابت والاجتهاد في المتغير:

نجد في سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم نماذج متعددة وأمثلة متنوعة تدل على تمسكه بالثابت الذي لا يحتمل الاجتهاد والتجديد فيه ، واجتهاده في الأمور القابلة للتغيير ومن ذلك :

1- انظر :تاريخ التشريع الإسلامي "لمحمد الخضري، ص:٢١

2- صحيح البخاري " كتاب فضائل القرآن .بـــاب تـــأليف القـــرآن)، ص:٤/١٩١٠، ح (٤٧٠٤)

3- انظر :المصدر قبل السابق.

ثبات النبي صلى الله عليه وسلم في رفضه التهاون أو التنازل في كل ما يتصل بتبليغ الوحي أو يتعلق بكليات الدين، و قيمه، وأسسه العقائدية والأخلاقية .. ومهما حاول المحاولون أن يُثنوا عنانه عن شيء من ذلك بالمساومات أو التهديدات، أو غير ذلك من أنواع التأثير على النفس البشرية ، فموقفه هو الرفض الحاسم الذي علمه إياه القرآن في مواقف شتى .. فحين عرض عليه المشركون أن يلتقوا في منتصف الطريق فيقبل شيئاً من عبادتهم ويقبلوا شيئاً من عبادته ؛ أن يعبد آلهتهم مدة ، و يعبدوا إلهه مدة ! كان الجواب الحاسم ؛ من رسول الله-صلى الله عليه وسلم-يحمله الوحي الصادق ، في سورة قطعت كل المساومات و حسمت كل المفاوضات، و هي قوله تعالى : ﴿**قلْ يَأَيّهَا الْكَافِرُونَ * لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلاَ أَنتُمْ عَابِدُونَ مَآ أَعْبُدُ * وَلاَ أَنَآ عَابِدٌ مّا عَبَدتّمْ * وَلاَ أَنتُمْ عَابِدُونَ مَآ أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ**﴾ [1]

فاتضح من ذلك أنه لا تنازل و لا تساهل في سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم في أمور العقيدة و ما يتصل بها .

وفي مقابل ذلك نجد مرونة واسعة في مواقف السياسة والتخطيط و مواجهة الأعداء ؛ بما يتطلبه الموقف المعين من حركة ووعي و تقدير لكل الجوانب والملابسات ، دون تزمت أو جمود ...نجده في معركة الأحزاب ... مثلاً يأخذ برأي" سلمان الفارسي" -رضي الله عنه-في حفر الخندق حول المدينة و يشاور بعض رؤساء الأنصار في إمكان إعطاء غطفان جزءاً من ثمار المدينة ليردهم و يفرقهم عن حلفائهم كسباً للوقت إلى أن يتغير الموقف ... و يقول لـــ" نعيم بن مسعود الأشجعي"-وقد أسلم و أراد الانضمام إلى المسلمين- " :إنما أنت رجل واحد فخذل عنا ما استطعت ..." [2] فيقوم الرجل بدور له شأنه في التفريق بين تحالف القبائل المحاربة للدولة الإسلامية.. وفي يوم الحديبية تتجلى المرونة النبوية بأروع صورها.. تتجلى في قوله في ذلك اليوم " : و الله لا تدعوني قريش اليوم إلى

1- الكافرون.

2- تاريخ ابن خلدون:٢/٤٤٠

خطة يسألوني فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها"[1] . و في قبوله-صلى الله عليه وسلم-أن يكتب في عقد الصلح " : باسمك اللهم " بدل " : بسم الله الرحمن الرحيم" [2] ..وهي تسمية رفضتها قريش !.. و في قبوله من الشروط ما في ظاهره إجحاف بالمسلمين ، و إن كان عاقبته الخير .. كل الخير..

و السر في هذه المرونة هنا ، و التشدد في المواقف السابقة :أن المواقف الأولى تتعلق بالتنازل عن العقيدة و المبدأ ، فلم يقبل فيها أي مساومة أو تساهل ، و لم يتنازل قيد أنملة عن دعوته .. أما المواقف الأخيرة فتتعلق بأمور جزئية ، وبسياسات وقتية، أو بمظاهر شكلية ، فوقف فيها موقف المتساهل... [3]

هكذا يتجلى الهدي النبوي في ضرورة التمسك بالثوابت الإيمانية العقدية ، وضرورة التجديد والاجتهاد في طرائق السياسة وخطط الإصلاح.

ويتمثل الحفاظ على الثابت في رفضه-صلى الله عليه وسلم-كل دروب الابتداع فيما يتعلق بالعبادات، والمناسك، و صور التقرب إلى الله تعالى، لأن الأصل في العبادات الحظر والتوقيف ، فلا يُعبد الله إلا بما شرعه و أذن به، لا بما تستحسنه العقول، وتستسيغه الأهواء ، فهذا هو باب الغلو وأصل التحريف و التزييف في الدين .. و لا غرو أن أغلق الرسول-صلى الله عليه وسلم-هذا الباب بإحكام وإصرار بمثل قوله:

"من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد" [4].

" وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة" [5].

1- مسند أحمد ، ص :٢١٢/٣١ ، ح (١٨٩١٠) .وصححه الشيخ الأرنؤوط في تعليقه على المسند.

2- البداية و النهاية "لابن كثير (٤١٧٥).

3- انظر :الخصائص العامة للإسلام ، للدكتور يوسف القرضاوي، ص: ٢٠٩-٢١٢

4- صحيح البخاري :كتاب الصلح ، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود .من حديث عائشة رضي الله عنها(٩٥٩/٢)، ح (٢٥٥٠).

5- سنن أبي داود:كتاب السنة، باب في لزوم السنة(٦١٠/٢)، ح(٤٦٠٩)، سنن الدار مي : المقدمة، باب في اتباع السنة(٥٧/١)، من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه . والحديث صححه الألباني في السلسلة الصحيحة(٢٣٨/٦) وصحيح الترغيب،١٠/١

و تتمثل المرونة في تشجيع الابتكار والاختراع في أمور الدنيا – المعينة على الدين–مثل أدوات الحرب التي تدخل في قوله تعالى: ﴿**وَأَعِدّواْ لَهُمْ مّا اسْتَطَعْتُمْ مّن قُوّةٍ وَمِن رّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوّ اللّهِ وَعَدُوّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ**﴾[1] ومثل سائر الصناعات الحربية و المدنية المختلفة ؛ التي تشير إليها الآية الكريمة: ﴿**وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ**﴾ [2] و لهذا رأيناه – صلى الله عليه وسلم – يحفر الخندق حول المدينة في معركة الأحزاب، ويستخدم المنجنيق في معركة الطائف، و يحث على الإنتاج الحربي حتى يجعل صانع السهم كالمجاهد الرامي في استحقاق المثوبة عند الله ، و يحذر الأمة أن تكتفي بالزرع وتتبع أذناب البقر[3]

ولعل حديث النبي–صلى الله عليه وسلم – الذي يقول فيه ..": أنتم أعلم بأمر دنياكم" [4]

يفتح الباب في هذا المجال للاجتهاد والتجديد.

11– الوسطية بين العزيمة والرخصة .

ومن محاسن الإسلام وسماحته أنه شرع الرخص لرفع الضيق المؤدي إلى الحرج والمشقة لفقدان المصالح الضرورية .ورفع الحرج مقصد من مقاصد الشريعة وأصل من أصولها، فإن الشارع الحكيم لم يكلف الناس بالتكاليف والواجبات لإعناتهم أو تحصيل المشقة عليهم .

ومن الرخص الشرعية الإفطار في السفر أيام رمضان، وقصر الصلاة المفروضة في السفر، فتصلي الصلاة الرباعية بركعتين فقط حال السفر، والمسح على الخفين في الوضوء، والتيمم بالتراب إذا فُقد الماء للوضوء أو إذا كان المسلم مريضاً،

1– الأنفال: ٦٠

2– الحديد: ٢٥

3– انظر : الخصائص العامة للإسلام .للدكتور يوسف القرضاوي : ص:٢١٦ ، ٢١٧

4– صحيح مسلم : كتاب الفضائل باب وجوب امتثال ما قاله شرعا دون ما ذكره من معايش الدنيا، من حديث أنس رضي الله عنه، (١٨٣٦/٤)، ح (٦٢٧٧)

وتناول الميتة عند الاضطرار، ويدل على ذلك كثير من أحاديث وأحداث السيرة النبوية، من أهمها ما يلي:

عن أبي سعيد الخدري-رضي الله عنه – قال : سافرنا مع رسول الله-صلى الله عليه وسلم – إلى مكة ونحن صيام، فنزلنا منزلا، فقال رسول الله-صلى الله عليه وسلم" : – إنكم قد دنوتم من عدوكم والفطر أقوى لكم . "فكانت رخصة .. فمنا من صام ومنا من أفطر، ثم نزلنا منزلا آخر فقال " :إنكم مصبحو عدوكم والفطر أقوى لكم .. " فأفطروا " [1].

و عن أنس-رضي الله عنه – قال :كان رسول الله-صلى الله عليه وسلم – في سفر فصام بعض وأفطر بعض، فتحزم المفطرون وعملوا، وضعف الصوام عن بعض العمل، فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم – في ذلك " : ذهب المفطرون اليوم بالأجر" [2].

وعن حمزة بن عمرو الأسلمي-رضي الله عنه – أنه قال :يا رسول الله أجد بي قوة على الصيام في السفر، فهل علي جناح ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " : هي رخصة من الله فمن أخذ بها فحسن ، ومن أحب أن يصوم فلا جناح عليه[3]"

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما :قال لي رسول الله-صلى الله عليه وسلم " :- يا عبد الله ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل؟ " فقلت : بلى يا رسول الله . قال " : فلا تفعل ! صم وأفطر ، وقم ونم ، فإن لجسدك عليك حقا، وإن لعينك عليك حقا ، وإن لزوجك عليك حقا ، وإن لزورك عليك حقا، وإن بحسبك أن تصوم كل شهر ثلاثة أيام؛ فإن لك بكل حسنة عشر أمثالها فإن ذلك صيام الدهر كله.. "

1- صحيح مسلم :كتاب الصيام .بَاب أَجْرِ الْمُفْطِرِ فِي السَّفَرِ إِذَا تَـوَلَّى الْعَمَـلَ(١٤٤/٣، ح(٢٦٧٨)

2- ايضاً

3- صحيح مسلم :كتاب الصيام، باب التخيير في الـصوم والفطـر في الـسفر .١٤٥/٣، ح،(٢٦٨٥)

قال عبد الله : فشددت فشدد علي . قلت : يا رسول الله، إني أجد قوة . قال " :فصم صيام نبي الله داود عليه السلام، ولا تزد عليه" ، قلت :وما كان صيام نبي الله داود عليه السلام .قال ":نصف الدهر ... " فكان عبد الله يقول :بعد ما كبر يا ليتني قبلت رخصة النبي-صلى الله عليه وسلم. [1]

وعن جابر قال :خرجنا في سفر فأصاب رجلا منا حجر فشجه في رأسه ثم احتلم فسأل أصحابه فقال : هل تجدون لي رخصة في التيمم؟ فقالوا : ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء . فاغتسل فمات .فلما قدمنا على النبي-صلى الله عليه وسلم- ، أخبر بذلك، فقال " : قتلوه قتلهم الله !! ألا سألوا إذ لم يعلموا فإنما شفاء العي السؤال . إنما كان يكفيه أن يتيمم ويعصر-أو يعصب - على جرحه خرقة ثم يمسح عليها ويغسل سائر جسده". [2]

وقال النبي صلى الله عليه وسلم" إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يكره أن تؤتى معصيته" [3] وفي رواية" : كما يحب أن تؤتى عزائمه". [4]

فهذه السنن النبوية تدل على العمل بالرخص الشرعية كما تدل على عدم التعنّت والتشدد في الأحكام الشرعية، فالإسلام دين يسر وسهولة ، ويراعي ظروف الإنسان المكلف والأوضاع الطارئة له.

12- الوسطية النبوية في نظر علماء الغرب:

الوسطية في سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم أمر مكشوف وحقيقة ملموسة عند جميع الناس، وصفحات التاريخ مزينة بشهادة علماء الغرب المعتدلين التي تنص على وجود مظاهر الوسطية وملامح الاعتدال وأشكال التوازن ومجالات

1- صحيح البخاري :كتاب الصوم .باب حق الجسم في الصوم،٢/٢٩٧، ح١٨٧٤.

2- سنن أبي داود :كتاب الطهارة، باب في المجروح يتيمم .(١/١٣٢) ح (٣٣٦) وحسنه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود.

3- مسند أحمد ص:١٠/١٠٧، ح(٥٨٦٦) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما .وقوى إسناده شعيب الأرنووط في تعليقه على المسند .وصححه الشيخ الألباني في الإرواء :برقم ،٥٦٤

4- انظر :المعجم الأوسط، للطبراني، ص: ٨/٨٢، ح (٨٠٨٢) من حديث عائشة، و أخرجه ابن حبان في صحيحه، ص:٢/ ٦٩، ح ٣٥٤ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما . وصححه محقق الكتاب.

البساطة والسماحة في التشريع الإسلامي بصفة عامة وفي سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم بصفة خاصة، ومما يدل على ذلك أقوال بعض علماء الغرب التالية:

يقول" ول ديورانت "عن النبي صلى الله عليه وسلم":أوجد بين المسلمين درجة من الاعتدال والبعد عن الشهوات لم يوجد لها نظير في أية بقعة من بقاع العالم". [1]

وهذه الخاصية تعني أن محمداً-صلى الله عليه وسلم - في نظرته للأمور وعلاجه للمشكلات يقف موقفا وسطًا لا إفراط فيه ولا تفريط.

"وهذا الاعتدال بدوره يمهد السبيل نحو تقدم الأفراد والمجتمع"[2] على حد قول ماري أوليفر

ومما قال علي يول" :فالاعتدال والتوسط في كل شيء هما الفكرة الأساسية للإسلام". [3]

وتحدث جورج سارتون عن هذه الحقيقة قائلاً :إن ما يتميز به الشرع الإسلامي من البساطة والاعتدال يسرّ لأي إنسان في أي موطن، أن يتقبله وينفذ إلى روحه وجوهره منذ اللحظة الأولى". [4]

ولقد أُعجب بهذا التوازن الباحث الهولندي الدكتور ميليما بين المادة والروح في الإسلام، فقال .." : لقد أعجبني اهتمام الإسلام بالمادة والروح باعتبارهما قيمتين أساسيتين، فالتطور العقلي والروحي للإنسان مرتبط في الإسلام وفي الفطرة على السواء ارتباطًا وثيقًا لا سبيل إلى فصله بحاجات الجسد". [5]

ويقول إميل درمنغم " : كان كثير من المسلمين يكثرون من ... الصلاة والصوم، فرأى محمد صلى الله عليه وسلم أن القصد أولى من الإفراط .فأشار بالاعتدال في التقشف وبترك كل ما يميت النفس، وحدث أن بعضهم قادوا أنفسهم

1- صة الحضارة له .ص : ١٣/٣٦٨-٣٥٩

2- انظر":رجال ونساء أسلموا "عرفات كامل العشي ، ٤/١٤٤

3- المصدر السابق، ٤/١٢٨

4- الشرق الأدنى :مجتمعه وثقافته : جورج سارتون) : بإشراف كويلر يونغ ، ص :١٤٠

5- المصدر قبل السابق، ٦/١٢٤-١٢٥.

إلى الحج بربط أنوفهم بأرسان الجمال فقطع محمد صلى الله عليه وسلم هذه الأرسان؛ لأن الله ليست له حاجة بجدع الأنوف! " [1]

تتحدث الباحثة ماري أوليفر[2] عن مظهر التيسير باعتباره مظهر من مظاهر الوسيطة لنبي الإسلام-صلى الله عليه وسلم- ، فتبين أن الشريعة الإسلامية التي نادى بها محمد-صلى الله عليه وسلم - هي تشريعات" بسيطة سهلة يستطيع كل إنسان أن يفهمها بكل يسر. فالإسلام يؤكد في تعاليمه أن على الناس أن يفكروا وأن يستخدموا عقولهم في الأمور الدينية" [3]

ويبين-آتيين دينيه -أن الشرع الإسلامي لا يتعارض ولا يتصادم مع الطبيعة، لأنه شرع يسير، فهو " يساير قوانينها ويزامل أزمانها، بخلاف ما تفعل الكنيسة من مغالطة الطبيعة ومصادمتها في كثير من شؤون الحياة، مثل ذلك الغرض الذي تفرضه على أبنائها الذين يتخذون الرهبنة، فهم لا يتزوجون وإنما يعيشون غرباء .على أن الإسلام لا يكفيه أن يساير الطبيعة وأن لا يتمرد عليها؛ وإنما هو يُدخل على قوانينها ما يجعلها أكثر قبولاً وأسهل تطبيقًا في إصلاح، ونظام، ورضًا ميسور مشكور، حتى لقد سُمي القرآن لذلك) بالهدى (لأنه المرشد إلى أقوم مسالك الحياة، والأمثلة العديدة لا تعوزنا، ولكنا نأخذ بأشهرها، وهو التساهل في سبيل تعداد الزوجات" [4]

فهذه الشهادات من الباحثين الغربيين من قبيل" : الفضل ما شهدت به الأعداء."

1- حياة محمد "اميل درمنغم . ص : (٢٩٧-٢٩٨)

2- ماري أوليفر :باحثة نصرانية درست البوذية والهندوسية، و انتهى بها المطاف إلى الإسلام، حيث اعتنقته مؤمنة بأنه الدين الوحيد الذي يستجيب لمطالب الإنسان.

3- انظر :رجال ونساء أسلموا "عرفات كامل العشي:٤/١٤٤-١٤٥

4- أشعة خاصة بنور الإسلام "آتيين دينيه .ص :٣١

ثالثاً :نتائج البحث والمقترحات:

وفيما يلي أشير إلى أهم نتائجه التي توصلت إليها من خلال دراسة هذا الموضوع :

١- من محاسن الفطرة السليمة التمسك بالوسطية بين الغلو والجفاء، والأخذ بالمنهج المعتدل بين الإفراط والتفريط، والاعتصام بالسلوك الوسط بين الإطراء والتقصير.

٢- من أبرز معاني الوسطية :الاعتدال التوازن، العدل، الخيار، التيسير ، التدرج، والرفق ونحوها من الخصال الحميدة المتزنة.

٣- مظاهر الوسطية في سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم حافلة بهذه المعاني المذكورة أعلاه.

٤- مظاهر الوسطية في البحث تشتمل العناوين التالية :

- الوسطية في الدين الذي جاء به المصطفى صلى الله عليه وسلم.
- الوسطية في أهداف بعث محمد بن عبد الله رسولاً ونبيا صلوات الله وسلامه عليه:
- الوسطية في العبادة.
- الوسطية في الأخلاق والسلوك.
- الوسطية في اختيار أساليب الدعوة إلى الله تعالى.
- الوسطية في جمع خيري الدنيا والآخرة.
- الوسطية في التيسير.
- الوسطية في تقرير الأحكام الشرعية.
- الوسطية في أسلوب الأمر والنهي.
- الوسطية بين التمسك بالثابت والاجتهاد في المتغير.
- الوسطية بين العزيمة والرخصة.
- الوسطية النبوية في نظر علماء الغرب.

٥- في العصر الحديث قد زاد الهجوم من الفئات المتنوعة على نبي الإسلام -فداه أبي وأمي- حيث اتهموه -صلى الله عليه وسلم- بالإرهاب والتطرف والعنف والتشدد وما إلى ذلك من الاتهامات التي هو بريء منها؛ فمن هنا تلتمس حاجة شديدة لإبراز جوانب الوسطية النبوية في الأوساط العلمية والفكرية، والمؤسسات التعليمة من الجامعات والكليات والمدارس، والجوامع والنوادي الأدبية.

٦- يستخدم لذلك وسائل الإعلام السمعية والبصرية الحديثة لتعميم الفائدة.

٧- كتابة المقالات المتنوعة والبحوث العلمية لنشر موضوع الوسطية في السيرة النبوية على ساحات متعددة من التأليف والتحقيق والصحافة والشعر.

٨- لا يتطرق من بيان مظاهر الوسطية في السيرة النبوية إلى التهاون في قبول المسلمات الإسلامية من حيث العقيدة والعمل، والتنازل من مبادئ الدين الحنيف قولاً وسلوكاً.

٩- توفير الفرص لإبلاغ موضوع الوسطية النبوية لدى مثقفي الغرب عن طريق الحوار العلمي الهادئ.

١٠- التصدي للإعلام المضاد بشكل مستمر ومؤثر، والرد على الشبهات المثارة حول نبي الإنسانية والوسطية عليه الصلاة والسلام.

١١- إعداد دراسات فكرية وبحوث علمية وبرامج وثائقية عن تاريخ التطرف الديني والفكر الإرهابي في الغرب ومقارنة ذلك بسماحة تعاليم الإسلام ووسطية نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم.

١٢- تبني كل من يتصف بالاعتدال والمنهجية من مفكري الغرب ومثقفيه ممن يهتمون بدراسات إسلامية عموما وسيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم خصوصا، ودعمهم في جهودهم للتصدي للهجمات والحملات التي تتهم الإسلام ونبيه بالإرهاب والعنف.

وفي نهاية المطاف أسأل الله العلي القدير أن يجعل هذا العمل المتواضع ذخرا لي ووسيلة الفوز بشفاعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، إنه سميع مجيب.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

*** ***